وحين اشتد الهجاءُ فى العصر الأموى اختلط بالحماسة والفخر ، وتناول القبيلة والعشيرة كلها ،ودخل فى الدين فهجا بالشرك والكفر ، ولكنه رجع إلى البخل ، والجبن ، وحماية الجار فلام الذين خرجوا على المثل العربية العليا المعروفة فتعلقوا بالصناعة والمهنة ، أو كانوا على ذلّ ومهانة فى العيش المأجور ، فقال الفرزدق فى جرير :

كمْ خالةٍ لكَ يا جريرُ وعمةٍ ... فدعاء قدْ حلبتْ علىّ عشارى[1]
شغّارة تقذُ الفصيلَ برجلها ... فطّارةٍ لقوادم الأبكـــار[2]
كانتْ تراوح عاتقيها علبةٌ ... خلف اللقاح سريعة الإدرار

فجعله من أسرة ذليلة أكثر أهلها يقومون بحرف تافهة ، بل إن النساء فيها رعين وحلبن واشتغلن وذلك للرجال فلا يجب أن تمسه النساء ، ويقول فى غيرها :

كانتْ تطيّبُ بالفساء ولم يلج ... بيتاً لها بذكيّة عطـــارُ

فرأى أنّ الفساءَ لازمها عمرها كله ، ولم يدخل عليها عطر أو طيب ، والنساء الناعمات يفخرن بما حُرمتْ منه هذه المرأة ، فهىَ مهينة فقيرةٌ تعيش بين الحيوانات ورَوْث البقر . والفرزدق يكثر من هذا المعنى فيلصق المسكَ بالرجال ويلحق ريح الخروء والفساء بالمهجوة ؛ وكم ندّد بمن يخيب الرجاء ، فقال :

فلا يَرْجُ عبد الله راجٍ فإنما ... أمانى عبد الله أضغاث أحلام

وقد أخذ المعنى من القرآن ، وهجا الرجل بأنه يَعد ولا يفى ومَنْ يرجو عنده أمراً فقد أضاع عمره فى انتظار وأمل . وفى البخل يتناول الأخطل مهجويه فيقول :

قومٌ إذا استنبحَ الأضيافَ كلبُهم ... قالوا لأمهم بُولى على النـــار
فتمسكُ البولَ ضنّاً أنْ تجودَ به ... وما تبولُ لهم إلا بمقـــدار

---

(١) الفدع : خروج مفصل الإبهام مع ميل فى القدم قليل ، حلبت : أى أنها راعية .

(٢) الشغارة : التى تشغر الفصيل برجلها إذا دنا من أمه ليرضع ، والفطارة من الفطر وهو الحلب بالسبابة والوسطى ، والقوادم : جمع القادمين وهما خلاف الضرع